

لماذا نحیی عاشوراء

لماذا یحیی ملايين الشیعة حول العالم مراسم عاشوراء فی كل سنة منذ استشهاده الإمام الحسین علیع السلام وإلى الیوم؟ یبذلون الكثير من الوقت والأموال والجهد من أجل إحياء شعائر عزاء الإمام، فهل هناك وجوب شرعی لإقامة هذا العزاء؟ وإذا لم یكن هناك وجوب شرعی، وكان العمل مستحب، فهل الدافع الحقیقی هو الحصول على الأجر والثواب، مع وجود كثير من المستحبات الأخرى؟ ولماذا یبتعد الغالبية العظمى حتى عن اللهو المباح فی أيام عاشوراء، فی حین لا یكون ذلك فی شهر رمضان لغالبية الناس، أو شهر الحج على سبیل المثال، أو بقية أشهر السنة.

هل هناك وجوب شرعی

نحن نجد أن العبادات الواجبة مثل الحج والصیام، لو لم یكن هناك وجوب شرعی للقیام بها، لما أداها إلا قلیل، أو لربما اندثرت مع الزمن. أما بالنسبة للصوم المستحب أو الحج المستحب فلا تجد الكثير من یقوم به. وفي المقابل وبالعكس من ذلك، رغم عدم وجود أي نص أو فتوى بوجوب إقامة مراسم عاشوراء، فإن الشیعة یتسابقون ویتدافعون لإحياء هذه الشعائر، وهي لا تزداد إلا ظهوراً وازدهاراً مع الوقت. وكذلك فإن إحياء هذه الشعائر لا یقتصر على البالغین أو الأكبر سناً كما حال العبادات الأخرى، بل إن جمیع الأطياف والفئات العمرية تعمل على حضور هذه المناسبة، ویتسابق علیها الصغیر قبل الكبیر.

نعم هناك استحباب لإقامة شعائر عاشوراء والحزن والبكاء على الإمام الحسین علیه السلام، وهناك الأجر العظیم كما فی كثير من الروایات، ولكن من الواضح أن إحياء عزاء الإمام الحسین (ع) لا یخضع لمیزان الأجر الثواب فقط. بل هناك دافع قوي وشوق وجاذبية لا توصف لإقامة هذه المراسم. بمعنى آخر، رغم الأجر العظیم فهو لیس الدافع الأساسي فقط لتحريك الجماهير لإحياء هذه المراسم، وذلك بالمقارنه بكثير من الأعمال العبادية التي قد لا تحظى بهذا الاهتمام الجماهيري والعشق للإحياء.

هل هو بسبب المأساة

إن كل الأحداث والمآسي والفجائع الإنسانية، یكون لها تأثير مؤقت على البشر، وقد تستمر لجيل أو اثنين أو ثلاثة، ولكن بريقها یخفت ویندثر مع الزمن. ولكن نجد قضية عاشوراء لا تندثر ولا تضحل، بل

تزداد ظهوراً وإشراقاً مع الزمن. بل إن بكاء وحرقة المعزين على الإمام وكأن الإمام يقتل كل سنة وكل يوم.

وإذا كان الدافع والمحرك الأساس هو في مأساة الإمام الحسين (ع)، فهناك الكثير من المعارك والمآسي على مر التاريخ الإنساني مروراً بالحروب العالمية واستخدام القنابل النووية التي راح ضحيتها أكثر من سبعين مليون إنسان، ومع ذلك فإن إحياء مثل هذه الأحداث يندثر مع مرور الزمن، ولا يحظى بما تحظى به عاشوراء من الحيوية والتجدد، والمشاعر الهياجة، والتي راح ضحيتها قرابة السبعين رجلاً.

إذاً رغم تأثير الجانب المأساوي وروح التضحية والفداء التي سطرته أحداث معركة عاشوراء، رغم ذلك كله فإنها لا تشكل الدافع الأساس لاستمرارية وظهور شعائر عاشوراء لأكثر من ألف سنة، وكأن مأساة عاشوراء تتجدد كل سنة، ولا تزداد إلا ظهوراً وإشراقاً.

ماذا عن بقية شهداء الإسلام

وإذا كانت القضية في كون الإمام الحسين عليه السلام هو سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فإن أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام هو خير منه، ورغم ذلك فإن إحياء عاشوراء ينال أكثر أهمية في أحاديث أهل البيت من استشهاد أمير المؤمنين أو استشهاد الرسول الأعظم (ص)، أو استشهاد الإمام الحسن عليهم الصلاة والسلام.

وهناك الكثير من الشهداء في المعارك الإسلامية كما في بدر أو أحد أو غيرها، مع ذلك لا تحظى بما يحضاه الإمام الحسين (ع) وشعائر عاشوراء من الإهتمام والإحياء.

فلماذا هذه الخصوصية لعاشوراء رغم وقوع الكثير من الشهداء على مر التاريخ الإسلامي والإنساني، وطبعاً كل هذه العوامل لها التأثير الكبير، ولكن ليست الدافع الحقيقي لاستمرارية مأساة الإمام الحسين عليه السلام ظهورها على غيرها من المآسي والأحداث.

لماذا تقدم أصحاب الإمام للشهادة

والأعجب من البكاء والحزن على الإمام الحسين (ع)، هو لماذا قام أصحاب الإمام بالخروج معه والاستشهاد بين يديه؟ لماذا مثل بعض الصحابه، أو الموالي، أو من لا تربطهم صلة رحم وقرابة بالإمام، ولا يرجون

المال ولا الملك، مع ذلك يتقدمون للاستشهاد بين يدي الإمام الحسين (ع). ورغم أن المعركة محسومة بالاستشهاد، لماذا كانوا يتنافسون ويتسابقون على الموت الذي لا بد منه. لماذا الشباب الذين في مقتبل العمر كالقاسم بن الحسن أو علي الأكبر يتلذذون بالشهادة بين يدي الإمام، ويرون الاستشهاد أحلى من العسل.

ورغم أن الإمام أعطى الرخصة لأصحابه بالانسحاب والإنصراف عنه، فالقوم لا يطلبون الا هو، ولو استشهدوا لنصرفوا عن غيره، ومع ذلك يجدون السعادة العظمى في الاستشهاد بين يديه. ما هو سر هذا العشق والجادبية للإستشهاد مع الإمام الحسين (ع)؟ وبصيغة أخرى، ما هو أعجب من إحياء مراسم عاشوراء، هو الدافع والعشق الذي جعل الأصحاب يتسابقون على الاستشهاد بين يدي الإمام الحسين (ع).

لماذا قدّم الإمام أولاده للشهادة

لو تقدم الإمام الحسين عليه السلام أولاً واستشهد، لعل الأعداء ينشغلون عن قتل بقية أصحابه وأولاده. وإذا كان الإمام يعلم بحتمية الإستشهاد في هذه المعركة، فلماذا يقدم أولاده وذراريه وأخوته وخيرة أصحابه للموت بين يديه؟ لماذا لم يتقدم هو للموت أولاً، فلربما استغنى الأعداء بقتله عن قتل أولاده وأصحابه. فلماذا قام الإمام الحسين (ع) مع سابق علمه وإخياره باستشهاده بتقديمهم أولاً للشهادة، وحتى تأكد من استشهادهم جميعاً، تقدم هو للشهادة. ماهي المعركة الحقيقية التي يخوضها الإمام الحسين (ع)، وما هي معايير النصر والفتح في نظره. إنها معركة مختلفة تماماً عن المعارك الأخرى التي شهدتها ويشهدها التاريخ الإنساني.

لماذا خرج النساء والأطفال مع الإمام

قد يكون خروج أصحاب الإمام من الرجال معه إلى كربلاء مبرراً بوجه أو بآخر، ولكن لماذا خرجت النساء والأطفال معه. ما هو السبب الرئيس والدافع الحقيقي لمثل النساء والأطفال للخروج مع الإمام. فإذا كان الإمام أرخص الرجال، فالرخصة للنساء أولى.

وإذا كان الرجال خرجوا لنصرة الإمام والدفاع عنه، فلماذا خرجت النساء وهم يعلمون باستشهاد الإمام وبتعرضهم للسبي. لماذا خرجت العقيلة زينب عليها السلام، ولماذا عبرت عن المأساة بقولها (لم أرى إلا جميلاً). فلماذا تحمّلت هذا العناء هي وبقية النساء والأطفال، ولماذا عبرت عن المصائب بأنها لم ترى إلا جميلاً. ماهي الحقيقة التي تعبر عنها السيدة زينب بالجمال في أحداث عاشوراء من استشهاد وقتل

حتى الطفل الرضيع, وما تعرّضوا له من الأذى والسبي.

ما هو الدافع والعشق الذي جعل النساء والأطفال يتحملون أعباء السفر والسبي لمرافقة الإمام ومواساته ونصرته؟ لماذا زينب عليها السلام خرجت مع الإمام رغم علمها بالسبي؟ ولماذا الريباب ورقية وأم وهب وسكينه وغيرهم من النساء والأطفال؟

من جهة أخرى, لماذا أقرّ الإمام الحسين عليه السلام خروج النساء والأطفال, وهو يعلم مسبقاً بقتله واستشهاده وسبي نساءه. لماذا لم يمنعهم من الخروج, أو أرسل بهم إلى جهة أخرى غير كربلاء. ولماذا أذن الإمام الحسين (ع) بأن يستشهد أولاده وأصحابه وتسمى نساءه, وهو يعلم بذلك وصرح به؟

ما هو سر الجاذبية والعشق

ما هو العشق الذي عاشه أصحاب الحسين عليه السلام حتى يرملون أزواجهم وذرائعهم, وحتى يتمنون أن يقتلوا سبعين مره في سبيله, وأن يرى الشباب, مثل القاسم عليه السلام, يرى الموت في سبيل الإمام الحسين (ع) أحلى من العسل. ما هذا العشق الذي جعل النساء والأطفال يخرجون مع الإمام عليه السلام, ويستشهدوا في مسير السبي مثل السيدة شريفة والسيدة رقية. ما هذا العشق وتحمل الآلام الذي عاشته الحوراء زينب عليها السلام حتى جعلت تضرب رأسها كلما رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام على الرمح حتى بدت الدماء من رأسها. ما هذا الفيض والعشق الذي يدفع بالإنسان للاستشهاد في سبيله, وهذه الخصوصية الإلهية التي جعلت للإمام الحسين ولعاشوراء. إنها عودة العاشق الى المعشوق, فمن يحب من, هل هو الداعي أم المجيب.

السعادة في الحزن على الإمام

إن كثرة الحزن والبكاء والجزع بشكل عام قد يضر بحالة الإنسان النفسية, وقد يصل به الى الإكتئاب, إلا الحزن على الإمام الحسين (ع) فإنه يزيل الهموم والآلام. إن المعزين والباكين والمقيمين لشعائر أبي عبداً يشعرون بسعادة روحية في حزنهم وبكائهم ولطمهم على الإمام, وهذا مغاير للقوانين المادية. إن ما يقوم به المعزين من بكاء وحزن ولطم هو بعض من وميض الشوق والعشق الذي دفع أنصار الإمام الحسين (ع) على الاستشهاد بين يديه. فما هو سر هذه السعادة الناتجة عن الحزن والبكاء, وما هو سر هذا العشق لأجيال وأجيال لم تشهد كربلاء, ولم ترى الإمام الحسين (ع) بأعينها.

ومن جهة أخرى، ما هو سر هذا الأجر العظيم على البكاء على الامام الحسين (ع). لماذا يختص عزاء الإمام الحسين عليه السلام بهذا الأجر العظيم الذي قد يفوق على الحج المستحب، والصوم المستحب، وكثير من الأعمال العبادية. فالروايات مستفيضه في أجر البكاء على الإمام الحسين (ع) أو إقامة عزائه، أو زيارته. فإجر البكاء عليه هو غفران الذنوب، ووجوب الجنة، وهذا ما لا قد يتحصله العبد بالأعمال الأخرى.

ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام : (يا بن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تسيل دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً). وفي حديث آخر قال النبي: «ألا وصلي الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة». و قال رسول الله ﷺ لفاطمة لما أخبرها بشهادة الامام الحسين وسألته عمّن يبكي على ولدها الحسين ومن يقيم عزاء له ، فأخبرها فقال لها : «إنه إذا كان يوم القيامة فكل من بكى على مصائب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة».

وقال أبو يعقوب اللّاهي (ع) في حديثه ومن ذكر الحسين عندده فخرجه من عيذنه من الدّموع مقدّار جندار زباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدؤون الجنة. وعن علي بن الحسين ع يقول من قطرت عيذناه أو دمعت عيذناه فينادم معة بواه الله بها في الجنة عرفاً يسكنونها أحقاباً أو حقباً. وفي حديث عن البكاء على الامام الحسين (ع) أن له ثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة.

فلماذا هذا الأجر العظيم لعاشوراء، وماهي حقيقته. و لماذا شجع أهل البيت على إحياء عاشوراء.

الأنبياء والبكاء على الحسين (ع)

ما هو سر هذه الجاذبية لشعيرة عاشوراء، ما الذي يجعل الأنبياء والمرسلين والملائكة والجن والإنس يبكونه حتى قبل استشهاده. ما الذي جعل الرسول الأعظم يبكي عليه بكاءً شديداً حتى قبل استشهاده. لماذا هذه الخصوصية لم تكن إلا للإمام الحسين عليه السلام دون غيره من البشر. إذا كان الأنبياء العظام كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بكوا على الإمام الحسين عليه السلام قبل ولادته، فكيف بمن عرف بمصيبته بعد استشهاده. فحسب الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام، أن إبراهيم بعد أن حاول

ذبح إبنه وشعر بألم هذا الفعل, وأمره أن يذبح الكبش فداءً لإسماعيل, وبعد أن شاهد الكبش بعد الذبح, أخبره أن عز وجل أن الحسين عليه السلام يذبح مثل الكبش. ولعل هذه الحادثة جعلت إبراهيم الخليل يستشعر بعض من مصاب الإمام الحسين عليه السلام.

إن هذه الرواية تصور لنا كيف أن المولى عز وجل نعى الإمام الحسين عليه السلام إلى أولوا العزم, وهذا يوضح مدى محورية استشهاد الإمام الحسين في الأديان السماوية. فإذا كان الأنبياء والمرسلين يكون على الإمام الحسين, فالعجب لمن يشكل على المعزين بكائهم وحنينهم على الإمام, وليس من يبكي عليه.

بكاء الملائكة ودورهم في عاشوراء

ليس فقط الأنبياء والمرسلين, بل لماذا الملائكة يبكون على مصاب الإمام الحسين (ع). وفي الحديث: (إِنَّ أَيْمَانَ عَيْدِ اللَّاهِ الْخُسَيْنِ (ع) لَمَّا قُضِيَ بِكَتِّهِ عَلَيْهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقَلِّبُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى بِكَأَيِّ عِلَاقَةِ أَبِي عَدْرِ اللَّاهِ الْخُسَيْنِ (ع)).

ما هو دور الملائكة المتواجدين عند قبر الإمام الحسين (ع), ولماذا لم يؤذن لهم بالقتال يوم عاشوراء, وما حقيقة النصر التي يقومون بها, ولماذا يحفون بالقبر الشريف. ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام (لقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرته فوجدوه قد قُتِلَ , فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم , فيكونون من أنصاره وشعارهم يا لثارات الحسين).

ما هي الحركة الكونية يوم عاشوراء

لماذا السماوات والأرضون ومن فيهن ومن في الجنة ومن في النار يبكي على الإمام الحسين (ع). لماذا الملائكة هبطت لنصرة الإمام, وهي مرابطة عند قبره. لماذا هذه الحركة الكونية والضجة والعجيج الذي يتجدد كل عام على مقتل الحسين (ع). لماذا ارتبط البكاء على الإمام الحسين (ع) منذ آدم عليه السلام مروراً بجميع الأنبياء والمرسلين. لماذا تبكي السماء دماً, ولماذا لا يأخذ بثأر الإمام سوى المهدي عليه السلام.

